

اغرورقت عينا رسول الله ع! ي! به بالدموع وهو يقلب بيديه تلك القلادة التي جاء بها رجل من قريش ليفتدي بها أخاه الذي أسره المسلمون في معركة بدر الكبرى ، أيقظت تلك القلادة في فؤاد رسول الله ع! ي! ذكريات تلك الإنسانية التي ملكت عليه قلبه قلبه ، لقد كانت هذه القلادة قلادة الإنسانية التي أحبته وواسته وسهرت على راحته ، كانت قلادة الإنسانية التي كانت تصعد جبال مكة الشاهقة لتضع الطعام والشراب له في غار حراء ثم تتركه هائناً بخلوته، جبريل بالوحي لأول مرة ، كانت تواسيه بحنانها بعد كل مرة يستهزئ به كفار مكة في طرقاتها، الإنسانية كل معاني الحنان والطمأنينة ، أن كذب الناس ، وواسته يوم أن هجره الناس ، وساندته يوم أن تخل عنه الناس ، تلطت الإنسانية الرقيقة التي ما سمع لها صوتاً مرتفعاً طيلة ربع قرن من الحياة الزوجية الهائلة ، والعطش بعد حصار الكفار للمسلمين يا سعب مكة ، القلادة بين يديه ذلك اليوم الذي خلعت به تلك الإنعسانة هذه القلادة من عنقها لكي تلبسها لابنتها زينب يوم زواجها وابتسامتها الرقيقة ترسم على محياها لتمام البيت السعادة التي حُرمتها منذ طفولته ، سنين اليتيم والحرمان التي عاشها طفلاً صغيراً، الصديقة المخلصة البطلة خديجة بنت خويلد عليها السلام . كنت أظن أن الكتابة عن عظيمات الإسلام ستريحني قليلاً من العناء الذي تكبدته في البحث والتحقيق خلال أسهر من الكتابة المتواصلة عن أولئك العظماء الذين كتب عنهم إلى حد الآن ، من الكتابة عن عظيميها! فنحن أمام شخصيات من النساء العظيمات اللاتي يعجز القلم المرأة ما هي إلا مقولة مهينة للمرأة ، عظيماً في الوقت الذي تذهب هي فيه إلى عتبات التاريخ المظلم ، صحيحة من الناحية التاريخية هي "وراء كل أمة عظيمة امرأة!" ، في الإسلام هي كل المجتمع وليس نصفه كما يزعم البعض ، تفوق بكثير مكانة مثيلاتها في دول العالم المتقدم ، تنعم بها المرأة المسلمة بعد أن رأيت بأمر عيني ما تعانيه المرأة الأوروبية من ظلم واستعباد! فالمرأة في بعض الدول الأوروبية تضطر لنزع ملابسها قطعة قطعة لكي تحصل على بعض "اليوروات" لطعامها مقابل أن تظهر في إعلال تبدو فيه سبه عارية بجانب سيارة يشتريها الرجال ! هناك تضطر الفتاة لخلع ملابسها لكي تظهر عارية في مجلة يستمتع بها الرجال لكي تأخذ هي من صاحب المجلة ما تدفع به إيجار سقتها وما تسد به رمقها ! وكم أحسست بالاسمئزاز عندما رأيت نساء يعرضن أنفسهن سبه عرايا من وراء زجاج المحلات في إحدى المدن الأوروبية الكبرى ، سوق نخاسة من أسواق القرون الوسطى ! فإذا كنت طفلة مسلمة ، وإذا كنت فتاة مسلمة، وإذا كنت سيدة مسلمة ، فارفعي رأسك عالياً وناطحي بها سمس الأصيل وأفق السماء، فأنت ابنة خديجة التي أرسل الله لها السلام من فوق سبع سماوات برسالة أوصلها إليها كبير الملائكة جبريل لج! ! واعلمي أن دورك في هذه الأمة يفوق دور الرجال فيها، فأنت البطلة وأم البطل وزوجة البطل وأخت البطل ومعلمة البطل ، من دونك لا يساوي شيئاً حتى وإن كان لا يظهر لك ذلك ! واعلمي أن أولادك عاتقه هم قيام هذه الأمة من جديد، خديجة من قبل، فالتة الله يا نساء الإسلام ، الحرجة في تاريخ أمة محمد، مشغولات بالطبائخ والمعجنات ، يحملن هذا الدين في قلوبهن كما حملته خديجة في كل ذرة من كيانها، الدين لن يخرج من رحم امرأة تافهة تقضي وقتها بمشاهدة المسلسلات ، أبي سفيان أعظم ملثي في تاريخ المسلمين لم يكن ليفتح سبرا من الأرض للمسلمين لو أن أمه هند بنت عتبة لم تزرع فيه روح العظمة منذ نعومة أظافره ، "كان ليستطيع إكمال دربه لولا أن سخر الله له امرأة مثل خديجة عليها السلام ، خديجة بنت خويلد قدوتكن القادمة ، لا لكي تتعلمن منها فن الطبخ ، ومن أم المؤمنين خديجة ، إلى أم أخرى للمؤمنين . . . الآن أقدّر عملية طعن وتشويه تتعرض لها إنسانة في التاريخ ! فما الذي سوف تصنعه إذا ما علمت أن هناك من يتهم أمك بأنها زانية